

اسم المادة: سورة الإخلاص

من سلسلة: تفسير جزء عمّ

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: سورة الإخلاص
من سلسلة: تفسير جزء عمّ
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله –صلى الله عليه وسلم–، بلغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح للأمة، فما ترك خيرا إلا ودلنا عليه، وما ترك شرا إلا وحذرنا منه، تركنا على المحجة البيضاء، جاهد في الله حق جهاده حتى آتاه اليقين، فصلاة وسلاما دائمين من رب العالمين على أشرف المرسلين محمد –صلى الله عليه وسلم–.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ" آل عمران:١٠٢

أما بعد أحبتي في الله؛ من رحمة الله –عز وجل– بخلقه أنه لم يتركهم سدى ولكن أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب، فكما أن الله –عز وجل– دبر لهم أرزاقهم وأقواتهم، فإنه كذلك –سبحانه وتعالى– أنزل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب، تكلم بهذا الكلام؛ كتاب الله –عز وجل– وحفظه التغيير ومن التبديل ليسوق للناس قوت أرواحهم كما ساق إليهم قوت أبدانهم، فقال الله –عز وجل–: "وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ" الشورى:٥٢، فأنزل الله –عز وجل– هذا الكتاب كتاب الله –عز وجل– وجعله روحا ونورا وهدى لمن شاء من عباده –سبحانه وتعالى–.

معنا اليوم سورة من هذا الكتاب نتدبر ما فيها من معاني، ولكنها سورة خاصة؛ خصها الله –عز وجل– بفضائل وخصها النبي –صلى الله عليه وسلم– بفضائل، كما وردت إلينا في سنة نبينا –صلى الله عليه وسلم–. هذه السورة هي سورة الإخلاص؛ سورة الأحد الصمد، سورة الصمد هذه السورة العظيمة التي قال عنها نبينا –صلى الله عليه وسلم– أنها تعدل ثلث القرآن. حينما يسمع الإنسان هذه الكلمة؛ ثلث القرآن في سورة يتوقع أن هذه السورة مثلا هي سورة البقرة أو هي مجموع سور معينة ولكن أطلق عليها سورة مجازا، هي السبع الطوال مثلا أو أجزاء متتالية من القرآن، لكن حينما يفاجأ أن هذه السورة هي أربع آيات في القرآن، هذه السورة من قصار السور، هذه السورة هي قوله –سبحانه وتعالى– بسم الله الرحمن الرحيم "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" هكذا فقط هي هذه الآيات التي تعدل ثلث القرآن، ثلث القرآن بما فيه من عجائب وقصص وأحكام وتشريعات وتوحيد وأخبار وأوامر ونواهي، كل هذه الآيات الكثيرة وهذه السور تأتي هذه السورة تعدل ثلث القرآن؟

إذًا أحبتي في الله هذه السورة عظيمة تحتوي على معاني مهمة ينبغي للأمة أن تجتمع عليها وأن تكثر من تداولها ومن التدبر فيها، لذلك بدأت هذه السورة كغيرها من بعض سور القرآن بقوله –سبحانه وتعالى– قل؛ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ تعجب بعض الناس من بدء هذه الصورة بهذه الكلمة بقوله –سبحانه وتعالى– بالأمر المباشر لنبينا –صلى الله عليه وسلم–

قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد كان متوقع أن تبدأ السورة هو الله أحد أو أعوذ برب الفلق أو أعوذ برب الناس، فتعجبوا من بدء هذه السورة بكلمة قل وكأن النبي –صلى الله عليه وسلم– بلغها وهذا هو الحاصل– بلغها كما سمعها قيل له قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد فقال قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد فتعجبوا من ذكر هذه الكلمة قُلْ وتفنن المفسرون في بيان وسبب ذكر هذه الكلمة قُلْ، فقال بعضهم بأن هذا الأمر الذي ذُكِر ينبغي أن ينشر وأن يُبَلَّغ لعامة الناس، فحتى لا ننسى جاءت هذه الكلمة قُلْ فينتقل الأمر كما نقل للنبي –صلى الله عليه وسلم– إلى كل المسلمين، فكأنه ينبغي على كل مسلم أن يتعلم هذه الكلمات ثم يعلمها للناس، هذه الكلمات هذه العقائد مما ينبغي لكل مسلم أن يتعلمها ثم يبلغها للناس كما تعلمها، ينبغي على كل مسلم أن يتلقى هذه العقائد الواضحة البسيطة على طريقة القرآن دون دخول في جدال أو في كلام كثير، هي عقائد واضحة بسيطة يتلقاها المسلم مباشرة من الله –عز وجل– بدون وسائط بكلمة قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد، فيتلقاها كل مسلم تنزل على قلبه كأنها غضة طرية كأنها لتوها نزلت فيتلقاها ليتعلمها ويُبَلِّغ بها الناس. هذا أمر ينبغي أن ينشر، ينبغي أن يعلم، أيضًا قالوا ينبغي أن يكرر في كلمة قُلْ ينبغي أن يتكرر هذا الأمر كثيرا على مسامع الناس، كثيرا على قلوبنا أولا، لذلك هذه المعاني التي ذكرت في هذه السورة ينبغي على كل مسلم استحبابا وندبًا أن يكررها في يومه. لذلك اللي يقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات وكأنه قرأ القرآن كاملا في الأجر.

من المعاني التي ينبغي أن تتكرر هذا المعنى؛ معنى التوحيد الذي قد نغفل عنه وننشغل بأشياء أقل منه بكثير ودونه بكثير، فقول الله –عز وجل– قُلْ أي أن هذه من المعاني التي ينبغي أن تتكرر، لذلك يستحب لنا أن نكرر ذكر لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة في اليوم، قلب المسلم يحتاج إلى أن يتذكر هذه الحقيقة الواضحة مائة مرة في اليوم حتى يرتقي في معارج الإيمان بينه وبين الله –سبحانه وتعالى–، يحتاج أن يكرر هذه المعاني.

أيضًا ما ورد في هذه السورة من معاني ينبغي أن يكرره الإنسان، لذلك يستحب لنا أن نقرأ هذه السورة في ختام يومنا بعد يوم طويل اختلاط بالناس وبالأسباب، تقلبات في مشاعر القلب بين خوف ورجاء وحب وحرص، هذه المشاعر اللي بيتقلب فيها الإنسان طوال اليوم يختم يومه بركعة الوتر، وهو يختم يومه في آخر ما يقرأ في صلاته في قيام الليل ويقرأ آخر سورة يقرأها قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ثم في آخر ركعة في الوتر يقرأ قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد يختم هذا اليوم يقرر هذه العقائد حتى لا ينسى، وحتى يراجع أعماله على هذه العقائد "إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا" المزمل: ٦ تأثيرا في القلب ومواطأة بين القلب واللسان حتى يحاسب نفسه، بل قال بعض الأهل العلم أن أيضًا سورة الكافرون تسمى سورة الإخلاص، فهو شق البراءة؛ يتبرأ الإنسان من الكفار ثم يثبت الإنسان عقيدة التوحيد، لذلك يجتمعان دائما في ختام اليوم، وبعد أن انتهى اليوم في هذا الليل المظلم يبدأ الإنسان اليوم مع بداية انفجار الفجر وبزوغ الفجر يكرر الإنسان أيضًا في أول لحظات اليوم بعدما يسمع الله أكبر ليقوم ليصلي سنة الفجر أيضًا يكرر هذه المعاني، فيختم يومه بها ويبدأ يومه بها فيستحب لنا في سنة الفجر أن نقرأ في الركعة الأولى قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وفي الركعة الثانية قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد، ختم يومه بهما وافتتح يومه بهما، مهما حدث من أحداث ومهما كان هذا اليوم وأيًا كان موضعه ومهما كان زمانه ينبغي أن يكرر هذه العقائد، مهما اشتد الظلام في ظلمة الليل في آخر وقت في الليل في شدة الظلام، ويناسب هذا الظلام شدة أوقات الاستضعاف، أي أوقات بلاء تمر بالإنسان يقرأ هذه العقيدة لأنها لا تتغير، هذه عقيدة لا تندرج تحت باب المصالح والمفاسد أو السياسة الشرعية، هذه عقائد ثابتة لا تتغير، في كل دعوات الرسل عقيدة البراءة من الكفار وإثبات التوحيد الخالص لله –سبحانه وتعالى–، وهو واحد أحد –سبحانه وتعالى– هو الصمد –سبحانه وتعالى–، "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" فمهما اشتد الظلام تقرأ هذه السورة، ومع بداية طلوع الفجر وظهور النور وبدايات التمكين أيضًا تستمر على هذه العقائد لا تغيرها، فالإنسان لا يتغير مع تغيرات الظروف في هذه العقائد تحديدا. وقالوا هذا من سر مجيء كلمة قُلْ هذه تتلقاها وحيا لا اجتهادًا، لا يجتهد فيها العقل، لا تخضع لاجتهادات الإنسان مع تغيرات الظروف، يتلقاها الإنسان من الله وحيًا كما هي، فمهما بلغت درجة عقل الإنسان لا يسمح له بالاجتهاد في هذه المنطقة، هي

خالصة صافية لله يتلقاها الإنسان كما هي لا تتغير مع الظروف والمتغيرات والأحداث والزمان، فيقرأها الإنسان في شدة الظلام ومع بداية النور، يراجع نفسه على هذه العقائد، يؤكد على نفسه هذه العقائد، يعلم نفسه هذه العقائد في آخر يومه وفي بداية خروجه للناس، حتى يخرج الإنسان مصححا لعقيدته.

قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد هو الله أحد –سبحانه وتعالى–، أيضًا تعجب المفسرون كلمة هو الله أحد أو قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد تأتي إجابة لسؤال فكأن سائلا سأل، ما هو السؤال الذي سئل؟ هنا اختلف المفسرون ما هو السؤال الذي سئل؟ فكانت هذه هي الإجابة، روي في بعض الآثار أن بعضا من الكفار أو النصارى أو اليهود وردت آثار في الثلاثة جاءوا وسألوا النبي –صلى الله عليه وسلم– وقالوا له: انسب لنا ربك. اذكر لنا نسبه وهذا من أصل أصول ضلال الإنسان؛ قياس الله –عز وجل– على خلقه، من أصول الضلال التي أدخلت الناس في كثير من التعجبات ونفي للصفات وإكثار من الأسئلة بكيف وبغيرها على صفاته، هذا أصل من أصول الضلال وهو أن يقيس الإنسان الله –عز وجل– على المخلوقات، إشكالية عند الإنسان إنه عايز يعامل ربنا زي ما بيعامل الناس، عايز يقيس صفات الله على صفات الناس، فينفي أشياء في القدر أو في صفاته وفي أسمائه أو يؤولها بسبب هذا الأصل. كذلك كانت هذه البذرة موجودة عند المشركين بل عند اليهود والنصارى ومن أسباب ضلالهم، يعتقد بعض اليهود أنه طالما لم ينشر بعض المعلومات بين المسلمين أن الله –جل وعلا– لن يطلع عليها، يعامل الله –عز وجل– كما يعامل الناس، قالوا: "لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" البقرة:٥٥، كما أن المشركون يرون أصنامهم نريد أن نرى الله جهرا، "اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ" الأعراف:١٣٨، نريد أن نتحسسها نريد أن نطمئن، أصل من أصول الضلال أنهم قاسوا الله –عز وجل– على خلقه، فجاءت هذه السورة لتوضح أن الله –عز وجل– ليس كمثله شيء –سبحانه وتعالى–، وأنه أحدٌ صمد، هذا بالنسبة لأهل الضلال حينما يسألونه، أما بالنسبة لأهل الإيمان وكأن الأهل الإيمان حينما قرؤوا القرآن وفوجئوا بهذه الصفات العجيبة وبأسمائه –سبحانه وتعالى– الحسنى وقدرته وأفعاله وصفاته رأوا في القرآن أن الله أنقذ إبراهيم من النار، ورأوا في القرآن أفعال يفعل الملك –سبحانه وتعالى–؛ ينصر المظلومين ويقسم الظالمين يشفي المريض ويهدي الضال، كل يوم وهو في شأن –سبحانه وتعالى–، فكأن سائلا يسأل بعد قراءة القرآن ومجيء هذه السورة في الختام له وقع عجيب، فكأن الإنسان بعد قرأ كل هذه الأفعال من إنقاذ ومن إغراق ومن إهلاك ومن هداية ومن إضلال ومن شفاء ومن غير هذه الأفعال؛ القلب بينجرف إلى هذه الأفعال فكأن سائلا يسأل من الذي فعل كل هذه الأفعال؟ فتأتيه الإجابة: قُلْ هُوَ اللَّهُ الذي فعل كل هذه الأفعال التي قرأتها في القرآن هُوَ اللَّهُ أحد هو فعلها ولن يفعلها ولم يفعلها غيره –سبحانه وتعالى–. انفرد بهذه الأفعال لم ولن ينقذ أحد من بطن الحوت إلا الله –سبحانه وتعالى– أو في الغار أو في النار أو في أي مكان، الذي أغرق فرعون هو الله الأحد ولن يغرقه ولم يغرقه غيره –سبحانه وتعالى–.

أفعال انفرد بها الله –سبحانه وتعالى– لم يفعلها ولن يفعلها أحد غيره –سبحانه وتعالى–، فحينما يقرأ المؤمن القرآن ويشتاق إلى مثل هذه الأفعال أن تحدث فتأتيه الإجابة فعل هذه الأفعال الله –سبحانه وتعالى– وحده ولن يفعلها غيره، إذًا الجأ إليه لابد أن تصمد إليه أن تتجه إليه فهو الله أحد الله الصمد إذًا هذا سؤال ينشأ في قلب المؤمن حينما يقرأ القرآن، وكأن بداية سورة الإخلاص بإجابة سؤال حتى إن لم يسأله أحد وكأنه سؤال فطري في الإنسان أن يسأل عن الله فجاءت هذه السورة حتى ولو لم يسأل، لذلك في أسئلة سورة البقرة؛ يسألونك يسألونك وقبل أن يسألوا قال الله "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي" البقرة:١٨٦، وكأن المفترض على العباد أن يسألوا عن خالقهم، هذا المفترض هذا سؤال فطري يراوغ منه الإنسان ويهرب منه الملحد، ولكنه سؤال مفطور في خلقته أن يسأل عن خالقه، طبيعي إن الإنسان لما بيولد ويكبر ويكون له أخ أن يسأل عن أبيه عن أمه أسئلة مفطورة كيف جاء إلى هذه الأرض فيسأل من أبي ومن أمي؟ بل أن بعض الصحابة لما قاموا والنبي –صلى الله عليه وسلم– غاضب ويحدث الناس بأشياء فقال يا رسول الله من أبي؟ حتى تعجب بعض الناس قالوا أو لم تخشى أن يخبرك وأن ينسبك إلى غير أبيك فتفتضح؟ هذا سؤال فطري أن يسأل عن أبيه، أيضًا السؤال عن الخالق سؤال مركوز في الإنسان فقال الله وَإِذَا سَأَلَكَ مش وإن

سألك، إذا حرف تحقيق ينبغي أن يسألوا عن الخالق، "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي" فالعبد يسأل عن سيده فجاء هذا إجابة سؤال قُلْ هُوَ اللَّهُ حتى وإن تغافلوا وإن تناسوا هذه إجابة موجودة مسطرة محفوظة لمن أراد أن يسأل عن خالقه.

قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد، هُوَ يسموه أهل اللغة ضمير الشأن يأتي للشأن العظيم، حينما يأتي في بداية كلام ولا يسبق بكلام يسمونه ضمير الخبر المهم؛ الشأن، أي أن الشأن العظيم والخبر المهم الذي ينبغي أن يُنشر أن الله أحد قل لكل الناس أخبر نفسك وأخبر الناس احمل لواء هذه الدعوة وانشره في الأرض دعوتنا دعوة التوحيد قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد الله –سبحانه وتعالى–، كتير من الناس ينشغل بحقوق البشر ولا يسأل عن حقوق الله، توضع الدساتير والقوانين للكلام عن حقوق الناس ويتغافل عن ذكر حق الله –سبحانه وتعالى–. وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– لمعاذ أتدري ما حق الله على العبيد؟ –لله حق على العباد– أن يوحدوه، هذا حق الله على العباد، فانفرد بخلقهم فلابد أن يوحدوه –سبحانه وتعالى–.

هُوَ اللَّهُ أحد الله اسم علم للملك –سبحانه وتعالى–، لا يحتاج إلى تعريف، الفطرة السوية لا تحتاج أن تُعَرَّف على الله، فهو اسم علم على الذات –سبحانه وتعالى–، هُوَ اللَّهُ أحد قال بعض أهل العلم أنه مشتق من كلمة "وله الفصيل إلى أمه" وله الفصيل إلى أمه، الفصيل؛ ابن الناقة، لما الناقة بتولد الولد الصغير اللي هو الفصيل ويعوزوا يفطموه عن أمه، خلاص ماعادش يرضع من أمه وياخدوه ويفصلوه عن أمه في حظيرة حتى ينساها، فيظل فترة يشغلوه بأي حاجة عشان ينسى أمه، يظل فترة هكذا يمتنع عن الطعام والشراب يمتنع يريد أن يعود إلى أمه مرة أخرى، فيظل فترة حتى تطول عليه الفترة ويشعر بألم الجوع وألم الشوق لأمه فيصدر رغاء يحدث أصوات، أصوات شوق إلى أمه، كأنه يخبره أنا لا أستطيع أن أعيش بعيدا عنها، حينما يصدر هذا الرغاء وهذه الأصوات يقول وله الفصيل إلى أمه، وصل الآن إلى مرحلة معينة هذه المرحلة يسموا أهل اللغة أن أمه هي إلهه في هذه اللحظة لأنه اشتاق إليها شوقا جارفا، هذه كلمة تحمل من المشاعر التي لا تنبغي أن تكون إلا لله كما سنذكر في الصمد، الإنسان مهما تزوج من جميلة فهو له مشاعر خاصة بأمه لا توصف، ومهما كان له من أصدقاء هو له مشاعر خاصة بولده، كذلك بداخل الإنسان مشاعر لا تنبغي أن تكون إلا لمولاه إلا لله، هذه المشاعر لا تجسد لا توصف لا تجرد هذه مفطورة في الإنسان، على الإنسان أن يوجهها بالاتجاه الصحيح وستخرج، على الإنسان أن يثريها ليغذيها أن يوجهها لخالقه، فستتجه للاتجاه الصحيح، هذه المشاعر هي من معاني الصمد، أن تتجه بكلك لله –سبحانه وتعالى–.

ف هُوَ اللَّهُ أحد هذه الكلمة كانت شعارًا للمسلمين في بدر في وقت العزة والنصر، كانت شعارا لهم في وقت الاستضعاف في مكة، أحدٌ أحدٌ كما يُروى عن بلال –رضي الله عنه– هذه الكلمة لها دلالات في الاعتقاد وفي الأعمال، ليست مجرد كلمة وهذا ما يخص عقيدة المؤمنين هي ليست مجرد كلام كما يُتَنَاوَل في علم الكلام، لا، هي عقائد يترتب عليها أفعال. لذلك بلال كان يُرْوى عنه لو أعلم كلمة هي لهم أغيظ من أحد لقلتها، هو يتكلم عن مردود هذه الكلمة في قلبه في عقيدته في طاعته في واقعه في عبوديته، يتكلم عن مردودها، لن أخضع لأوثانكم لقوانينكم لدساتيركم لأفعالكم، أنا عبد لله حتى لو أنا مربوط بسياج الرق في الدنيا لكن أنا عبد لله، سأقطه هذه السياج، مهما فعلتم بي.

هذا مردود كلمة أحد على الإنسان، أن الله أحد في ذاته، أحد في صفاته، الذي يرزق هو، والذي يدبر الأمر هو، هو أحدٌ في هذه الصفات. كل الصفات اللي انت سمعتها في القرآن عن ربنا هو أحدٌ فيها –سبحانه وتعالى–. ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، الذي يدبر هذه الأمور بهذه الطريقة؛ الذي لطف بيوسف في السجن هو الله –سبحانه وتعالى–، والذي لطف بيونس في بطن الحوت هو الله –سبحانه وتعالى–، الذي فعل كل هذه الأفعال هو الله، ولا يستطيع أحد أن يفعل مثله فهو الأحد هو الأحد، قال بعض أهل العلم أن



الأحد غير الواحد، أن الواحد في الذات والأحد في الذات وفي الصفات وفي الأفعال، فلا تثنية في أحديته ولا تثنية أيضًا في صمديته كما سنرى.

قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد وكأن هذه السورة هي التعليق النهائي لما ذكر من المعنى الإجمالي، هذه السورة الحقيقة المسطرة الواضحة البسيطة هذه السورة هي بذاتها بأوصافها بمعانيها مبثوثة طوال القرآن، يعني حينما قال إبراهيم وهو في الهواء يلقونه في النار حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله "يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا" الأنبياء:٦٩، هذا هو معنى سورة الإخلاص، حينما يقول يوسف: "وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ" يوسف:٣٣، ويصرف الله –عز وجل– عنهن كيدهن هذا هو معنى سورة الإخلاص، حينما يقول يونس: "لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" الأنبياء:٨٧، ونجيناه من الغم هذا هو معنى سورة الإخلاص، هذا المعنى ذكر عن طريق القصص وعن طريق الإشارات طوال القرآن، ثم يكرر ليُعلل في الآخر، الملخص من كل اللي انتم سمعتوه أن الله أحد.

إذًا ينبغي أن تتجه إليه هو الصمد ولا تتجه إلى غيره، مفيش وسايط، لما بتحب تروح لواحد تقول أروح له حد من تحت ولا حد من فوقه توصل له ازاي؟ تجي له بواسطة من تحت من ابنه أو قرايبه أو أي حد، ولا حد من فوقه. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ طب أروح لحد غيره يعمل لي اللي أنا عايزه أو حد يكلمه أو حد يضغط عليه وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أي كفؤا ومثيلا ومشابها أبدًا. فلا تشغل نفسك بغير الطريق فهو الأحد وهو طريق واحد، فملخص لكثير مما ذكر في القرآن تعليق واضح يعلم ببسيط سطور واضحة كلمات واضحة الله الصمد قُلْ هُوَ اللَّهُ أحد يكرر لفظ الجلالة لنكرره تبركا بذكره –سبحانه وتعالى–، لم يقل قل هو الله أحد هو الصمد جاء ظاهرا هذا الاسم ينبغي أن يظهر ويكرر ويتبرك الإنسان بذكره، اللَّهُ الصَّمَدُ قيل من معنى الصَّمَدُ في اللغة: أي الذي لا جوف له، الذي لا يأكل ولا يشرب، فقالوا هذا معنى عن غناه عن خلقه، الإنسان فقير، من علق، أجوف، يحتاج، الإنسان دايما محتاج؛ محتاج حاجة تسد جوعه، حاجة تسد شهوته، حاجة تسد طموحاته، الإنسان دايما يحتاج. الله لا يحتاج إلى أحد، هو يُطْعِم ولا يُطْعَم –سبحانه وتعالى–.

فلذلك أيضًا قيل من معاني الصَّمَدُ كما روي عن ابن عباس: الذي كمل في صفاته، كمل في سؤدده، وفي حلمه، وفي عطائه، كمل، قالوا الصَّمَدُ هو أعلى درجة من أحسن صفة، فالصمد أعلى الدرجات في أحسن الصفات، لأنك لما تحب تروح لواحد يخلص لك حاجة انت عايز تروح لأحسن واحد في الموضوع، فالسورة بتقولك أنه أحد في كل صفة وهذه الصفة بلغ فيها المنتهى، هو أحد في الرزق فلا يرزق إلا هو، وفي أثناء رزقه بلغ أعلى الكمال في الرزق، هو اللطيف وحده وبلغ أعلى الكلام في اللطف، هو الرحيم الرحمن وحده وبلغ أعلى الكمال في الرحمة، فأين تذهبون أين تصرفون؟ كيف يبتعد الإنسان عنه؟ هو أحدٌ في صفاته ثم صمدٌ في هذه الصفة، إذًا تتجه إليه.
لذلك يُقال الصَّمَدُ الذي يُتَجَه إليه عند قضاء الحوائج. هو ده الطبيعي إن العاقل لما يبقى عنده مثلا مشكلة وفيه ناس عنده في البلد يروح لأعلى واحد في البلد عشان يحل له المشكلة، لو يستطيع إنه يصل للأعلى ليه يصل للأسفل لما ممكن يصل للأعلى؟ ليس بينك وبين الله نسب، هذه السورة تكسر الوسائط تنسف الوسائط، هذه السورة تتجه مباشرة إلى الله أن تصمد مباشرة إلى الله، فالله الصَّمَدُ الذي توضع الحوائج بين يديه، شايل همومك كده؛ عارف قول الله –عز وجل–: "فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ" القصص:٧ خايفة على ابنك روحي أوسع مكان عند البحر وارميه في البحر، عارف تعبير العامة –ارمي حملك على ربنا–؟ هو ده الصَّمَدُ إنك تتجه بكلك وبمشاعرك لله؛ الله الصَّمَدُ بعد ما أيقنت أنه أحد وأيقنت أن له الكمال في هذه الصفة فتتجه إليه وأنت مطمئن.

لذلك من أسمائه المؤمن إنك انت آمن في معاملته. ســـيدنا هود واقف بيكلم قومه بمفرده يتحداهم وحده، ثم يقول لهم أنا مطمن "إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" هود:٥٦، ربنا له معاملات ثابتة ومابتتغيرش، فأنا مطمن، هو قدير –سبحانه وتعالى– هو وعدني –سبحانه وتعالى– أنا مطمئن فأي فريقين أحق بالأمن "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُـــوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ" الأنعام:٨٢، فأنا مطمئن في علاقتي بالله.

إذًا من معاني الصَّمَدُ أن تلجأ إليه عند قضاء حوائجك في كل حوائجك ما تملك أسبابه وما لا تملكه، تتجه إليه، أن يتعلق قلبك به في كل شيء، وكما ترجع إليه في قضاء حوائجك ترجع إليه في معرفة شرعه، في معرفة مراده –سبحانه وتعالى–، إذًا هذا من معاني الصَّمَدُ أن يتجه الإنسان بكله وبمشاعره للملك –سبحانه وتعالى–، لا يخلط هذه المشاعر بأناس وبأسباب؛ تكون خالص، هذا هو الإخلاص معرفة ينبني عليها عمل هذا هو الإخلاص أن توقن أنه أحد ثم تصمد إليه وحده، هذا هو الإخلاص أن تكون خالصا، هذا القلب الذي كثير التقلب والتعلق، القلب هو كثير التقلب والتعلق هذا القلب يكون خالصا معلقا به –سبحانه وتعالى–. نسأل الله –عز وجل– أن نكون من الأهل هذه الصفات أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد –صلى الله عليه وسلم–.

ينشغل الناس بزخارف الدنيا وزينتها، وبتحصيل الأسباب ونتائجها، ينشغلون بعيدا عن ذكر الله. قَدَّر الله –عز وجل– أن تكون هذه الدنيا قائمة على نظام الأسباب والمسببات، قَدَّر الله –عز وجل– أن يكون هذا هو نظام الدنيا، قَدَّر الله –عز وجل– أن من أراد شيئا لابد أن يسعى لتحصيل أسبابه للحصول على هذا الشيء، إذا أراد الإنسان ثمرة معينة عليه أن يأتي بالبذرة ويضعها في الأرض يحرث الأرض ويضعها في الأرض ويراعيها ويسقها وينميها حتى تخرج، لم يقدر الله –عز وجل– أن تكون الطريقة الأساسية للحصول على الثمرة أن يقف ويدعو ويقول يا رب انزل لي ثمرة فتنزل لي ثمرة من السماء، قَدَّر الله –عز وجل– هذه طريقة الحياة حتى تستقيم حياة الناس، ولكن أراد الله –عز وجل– أثناء السير في هذا الطريق أن تتعلق قلوبهم به وأن لا ينشغلوا بهذا الحاجز الوهمي "إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً" الكهف:٧، هذا تزيين لطريقة الحياة الدنيا حتى تستمر الحياة، لكن وراء هذه الأسباب ومنتهى كل سبب هو الله، فهو الأول والآخر، هو الأول قبل كل سبب هو الآخر بعد كل سبب، فكل مقاليد الأمور تنتهي إليه –سبحانه وتعالى–.

فأراد الله –سبحانه وتعالى– أن نقوم بهذا العمل وقلوبنا معلقة به، هذه المعادلة؛ أن الإنسان يحصل الأسباب إن هي الطريقة اللي بيقوم عليها الكون وقلبه معلق به، وحينما تغيب أو تنتهي أو تفشل هذه الأسباب هو القلب كما هو لأن القلب أساسا هو معلق بالله. أخذ النبي –صلى الله عليه وسلم– بكل الأسباب في طريقه للهجرة، الطريق وحد بيدله على الطريق والطعام وبيلاقي حد يمحو الأثر ثم وجدهم النبي –صلى الله عليه وسلم– فوق الغار هو وأبو بكر لم تهتز الثقة ولا الطمأنينة قال يا أبا بكر ما ظنك باثنين –لم يقل ما ظنك باثنين قاموا مشيوا عكسوا الطريق وجابوا حد يعرفه– الله ثالثهما، إن الله معنا، هو مصطحب هذا التوكل وهذه المعية قبل وأثناء وبعد.

إذا من معاني الصَّمَدُ أن تلجأ إليه حتى أثناء قضاء الحوائج التي تملك أنت أسبابها لكن قلبك يكون معلقا به، قلت هذا من فتن الدنيا أن قَدَّر الله –عز وجل– أن تسير الحياة على وفق الأسباب، قَدَّر الله ذلك وأراد ذلك لكن ينبغي للإنسان ألا ينشغل بهذه الأسباب هذه المعادلة الصعبة التي ينبغي على المؤمن أن يقوم بها وأن يعلق قلبه بالله، وأن يتجه إليه في قضاء الحاجة، كلمة التوكل التي ذُكِرت في القرآن عشرات المرات، أين قلوبنا منها؟

إذًا أكرر أن الدنيا قامت على نظام أن المريض يبحث، ما جعل الله من داء إلا جعل له دواء، أن يبحث عن هذا الدواء وأن يتناوله لا حرج في ذلك لكن الشافي هو الله، العملية التامة اللي بتتم من إزالة المرض هو الله، هذا هو الشفاء، هو منه –سبحانه–، فأنت تسعى في تحصيل رزقك لكن الرزاق هو الله، هذه عقائد لا ينبغي أن تتغير مع كثرة ملامسة الأسباب، هذه عقائد أن الله أحدٌ في صفاته يُصْمَد إليه عند الحوائج، هذه عقائد لا ينبغي أن تتغير، أننا نسعى في أسباب النصر لكن "وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ" الأنفال:١٠، أننا نسعى في الرزق لكن وما الرزق إلا من عند الله، أن نسعى في التداوي لكن وما الشفاء إلا من عند الله، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، قد تؤتي الأسباب ثمرتها وقد لا تؤدي بل قد تأتي بعكس النتائج قد لا تأتي بنتائج، لذلك كان الحل إن حتى يؤمن المعاندين أن يُكْسَر لهم هذا النظام؛ نظام الأسباب، أن تأتي معجزة أن عصى تنقلب حية أو تشق البحر وأن الميت يحيه الله –عز وجل– بقدرته لعيسى –عليه السلام–، أن تنكسر هذه الأنظمة حتى يوقن المعاندون، وعاندوا وأصروا لكن الإيمان من هذه الأمة اكتفوا بكتاب الله فاتحدت فيه الرسالة والمعجزة، يعني سيدنا موسى كان معاه التوراة وكان معاه معجزة، سيدنا عيسى كان معاه الإنجيل الرسالة وكان معاه المعجزة، اتحدت لهذه الأمة الرسالة في المعجزة في القرآن هو المعجزة وهو الرسالة، فاكتفى الأهل الإيمان بالقرآن معجزة، فبدأ الله بصفاتهم في أول سورة البقرة "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" البقرة:٣، لا يحتاج إلى أن يرى ويلمس ويتحسس حتى يوقن، هو موقن.

فمن معاني الصَّمَدُ الذي لم ينشغل بشجرة الأسباب وتفرعاته، لم يتشعب قلبه مع هذه الشعاب ولكنه يصمد إلى الله، هو يعلم حقيقة الأمور ونهاية الأمور وأنها بيد الله فيتعلق قلبه بالله. الله الصَّمَدُ، حقائق تنبني عليها أفعال، عقائد ينبني عليها أفعال، هذه هي العقيدة الإسلامية في صورتها البسيطة الواضحة بعيدا عن الجدل الكلامي الذي لا يثمر ولا يغني من جوع، هذه العقائد التي تبني الإنسان والتي ينبني عليها أفعال تغيظ الكفار، قال لو أعلم كلمة هي له أغيظ لقلتها، وقال المشركون لو كانت كلمة لقلناها، هم يفقهون كلام العرب ويعلمون كلمات هذا القرآن ماذا تعني وما ينبني عليها من أفعال ومن تغيير في حياتهم ومعتقداتهم وقوانينهم، يعلمون ما يترتب على ذلك من تغيير فقالوا لو كانت كلمة –أي لو كانت مجرد كلمة– لقلناها لكن كلمة التوحيد لها مآلات، وهم عرب لا يريدون أن يناقضوا نفسهم، فقال الله –عز وجل– "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ –ثم قال الله عز وجل في الختام– لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ" كلمة تريح الإنسان حتى لا يكون رجل فيه شركاء متشاكسون، حتى لا تتشعب به الطرق.

لو كلف الإنسان –معاذ الله– لو كلف الإنسان بالشرك لكان تكليفا بما لا يُطاق، لو كلف الإنسان أن يعلق قلبه بكل الناس وبكل الأسباب وكل الأشخاص لكان تكليفا بما لا يُطاق، لا يطيقه القلب، فكُلِفَّ بالتوحيد "وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ" الزمر:٢٩، كلف بالتوحيد أن يكون القلب خالصا لا تبحث عن وسيلة أخرى، دايما الناس زي ما قلنا لما يحب يوصل لحاجة يحاول ويدور يوصلها ازاي، يجيب واسطة يجيب حد، فيقول الله –عز وجل– بعد ما قال أنه أحدٌ في صفاته ثم بلغ الكمال في هذه الصفة فينبغي أن تتجه إليه، طب مفيش طرق تانية؟ لا مفيش طرق تانية، مفيش مثلًا من الابن من الأب من اليمين من الشمال أروح لحد تاني يخلص لي الموضوع؟ ليس هناك طرق أخرى لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ رد على النصارى واليهود على زعمهم الفاسد الضال –نعوذ بالله من الضلال والغضب– "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" نسأل الله –تعالى– أن يسلمنا من طريقهم.

قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: يقول الله –عز وجل– كذبني ابن آدم وشتمني فأما تكذيبه أي فإنه أنكر البعث وهو أهون علي وأما شتمه إياي فإنه ادعى لي الولد وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد، هذا شتم لله هذا سب لله تعالى الله –عز وجل– عما يقولون علوا كبيرا "تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا" مريم:٩٠، الكون يضطرب لابد أن نشارك الكون في غضبه، الكون بيضطرب لهذه الكلمة لأنها ليست مجرد كلمة هي إنكار لحقيقة الحقائق، لأم الواضحات فطرة مستقرة في الإنسان وفي المخلوقات يغضبون لخالقهم، الجبال والسماوات والأرض يغضبون لخالقهم فما بالنا لا نغضب لله.

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ لا تبحث عن طريق آخر، ليس هناك إلا التوحيد الخالص ليس هناك وسائط كما ادعت الانحرافات الضالة والعقائد الباطلة، ليس هناك وسائط بين الله –عز وجل– وبين العبد، هذا من رحمة الله بالناس، تخيل لما تذنب ذنب ولا يعلم هذا الذنب إلا الله تذهب إلى أحد من الناس تفضح نفسك عنده حتى يشفع لك أو تذهب –والعياذ بالله– أو يذهب لصنم، مباشرة بينك وبين الله "قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ" القصص:١٦، وانتهى الأمر بينه وبين ربه.

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ مفيش حد هيحل لك مشكلتك زيه، مفيش مكافئ مفيش مماثل مفيش مشابه له، "هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" مريم:٦٥، قيل من معاني سميًّا أي مساميًّا أي مناظرا أي شبيها أي مثيلا، لا، لا نعلم له سميا –سبحانه وتعالى–، لا ليس له كفوا أحد –سبحانه وتعالى– هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ينبغي أن نخلص مشاعرنا له، وعقائدنا له، وأفعالنا له، وتحاكمنا إلى الكتاب، هذا هو الإخلاص الذي أقرته السورة.

نسأل الله –عز وجل– أن نكون من أهل الإخلاص وأهل القرآن. اللهم اجعلنا من أهل الإخلاص وأهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك. اللهم أحينا على التوحيد وأمتنا عليه وابعثنا عليه يا رب العالمين. اللهم اجعلنا من حاملي لواء التوحيد وناشريه في الأرض بكرمك وفضلك يا رب العالمين. اللهم ارزقنا شهادة عليه ترضى بها عنا يا رب العالمين. اللهم إنا نسألك الفردوس العلى يا رب العالمين بفضلك وكرمك وجودك ومنك ورحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللهم اهدنا واهد بنا واجعلنا سببا لمن اهتدى. اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وأقم الصلاة.